

خطبة الطفولة بناء وأمل

الهدف المراد توصيله إلى جمهور المسجد:

إن الهدف من هذه الخطبة هو توعية جمهور المسجد بأهمية بناء إنسان متسلح بالعلم، قادر على أن يتحدى الزمن بالإنجاز

العناصر:

- ١ - الطُّفُولَةُ أَجْمَلُ مَا فِي الْوُجُودِ.
- ٢ - نَوَاةُ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ بِنَاءُ طُفُولَتِهِ.
- ٣ - الطُّفُولَةُ تَتَوَقَّفُ عِنْدَهَا الْأَحْكَامُ.
- ٤ - دَعْوَةٌ لِإِكْرَامِ وَجِبْرِ خَاطِرِ كُلِّ طِفْلِ.

الأدلة:

قوله تعالى: {وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}.

قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}.

حديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ورسوله {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي فرفعتهما».

حديث: «إني لأدخل في الصلاة أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي؛ خشية أن تُفتن أمه».

حديث: «يا أبا عمير، ما فعل النعير؟».

حديث: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم وجفت الصحف».

(١)

الطفولة بناءً وأمل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، الْقَوِيِّ الْمَجِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مَنْ نَطَقَ بِهَا فَهُوَ سَعِيدٌ، سُبْحَانَهُ هَدَى الْعُقُولَ بِدَانِعِ حَكْمِهِ، وَوَسِعَ الْخَلَائِقَ بِجَلَالِ نِعَمِهِ، أَقَامَ الْكَوْنَ بِعَظْمَةِ تَجَلِّيهِ، وَأَنْزَلَ الْهُدَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَمُرْسَلِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، شَرَحَ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَشَرَّفَنَا بِهِ، وَجَعَلْنَا أُمَّتَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ الطُّفُولَةَ أَجْمَلُ مَا فِي الْوُجُودِ، وَالنَّبْعُ الْحَقِيقِيُّ لِلْحُبِّ وَالْحَنَانِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، الطُّفُولَةَ أَحْلَى مَرَاحِلِ الْعُمْرِ، وَأَعْظَمُ فِتْرَاتِ الْحَيَاةِ، وَالْأَطْفَالُ نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْوَهَّابِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى {وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}، فِي ابْتِسَامَتِهِمُ الْبَسَاطَةَ، وَفِي تَعَامُلِهِمُ الْبِرَاءَةَ، أَحَادِيثُهُمْ مُشَوِّقَةٌ، وَمَشَاعِرُهُمْ صَافِيَةٌ، أَنْفَاسُهُمْ كَالزَّهْرِ فِي فَجْرِ الرَّبِيعِ، حَيَاتُهُمْ نَقَاءٌ، وَصَفَحَاتُهُمْ بَيَضَاءٌ.

وَإِذَا كَانَ وَاجِبُ الْوَقْتِ هُوَ بِنَاءُ إِنْسَانٍ مُتَسَلِّحٍ بِالْعِلْمِ قَادِرٍ عَلَى الْإِنْجَازِ وَالتَّحَدِّيِّ، فَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْكِرَامُ أَنَّ نَوَاةَ بِنَاءِ الْإِنْسَانِ بِنَاءُ طُفُولَتِهِ، فَبِمَقْدَارِ مَا يَتَشَكَّلُ الْإِنْسَانُ فِي طُفُولَتِهِ يَصِيرُ فِي رُجُولَتِهِ، وَحَرِيٍّ بِالْمَجْتَمَعِ أَنْ يَحْتَشِدَ لِهَذَا الْبِنَاءِ الشَّرِيفِ، وَحَقِيقٌ بِكُلِّ أَبٍ وَأُمٍّ أَنْ يُسَارِعُوا فِي تَقْدِيمِ كُلِّ أَوْجِهَةِ الرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالتَّرْفِيهِ وَالتَّمْتَعَةِ لِلطُّفْلِ، وَأَنْ يُبَادِرُوا إِلَى مَلْءِ فِرَاحِ الطُّفْلِ بِمَا يَجْعَلُهُ سَعِيدًا مُتَفَانِلًا مُقْبِلًا عَلَى الْحَيَاةِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ، إِنَّ مِمَّا تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ عَلَمَانَا الْأَجْلَاءِ أَنَّ الطُّفُولَةَ تَتَوَقَّفُ عِنْدَهَا الْأَحْكَامُ، وَقَدْ اسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِحَالِ الْجَنَابِ الْمُعَظَّمِ صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَهَا هُوَ يَنْزِلُ مِنْ مَنْبَرِهِ الشَّرِيفِ، وَيَقْطَعُ خُطْبَتَهُ السَّامِيَةَ؛ تَلَطُّفًا وَتَحَنُّنًا لِيَعْتَرِ حَفِيدِيهِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا؛ وَتَصَوَّرَ مَعِيَ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ رَاحَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَكِينَتُهُ وَطَمَائِنَتُهُ، كَانَ حَضْرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَقِّقُهَا لِأَجْلِ بُكَاءِ طِفْلِ صَغِيرٍ، فَهَا هُوَ صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يُوقِفُ حُكْمَ التَّائِيِّ وَالتَّمَهَّلِ، وَيَتْرَكُهُ إِلَى مَا هُوَ أَحَبُّ مِنْهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ التَّحَنُّنِ وَالتَّرْفُقِ وَالتَّشَفُّقِ وَالتَّلَطُّفِ بِالطُّفْلِ، وَإِسْبَاعِ نَهْمَتِهِ فِي التَّمْتَعَةِ وَالتَّرْفِيهِ وَالتَّعْلِيمِ، فِي تَطْبِيقِ نَبَوِيِّ فَرِيدٍ وَحَالِ شَرِيفٍ لِتِلْكَ الْقَاعِدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا يَسْتَحِقُّ أَطْفَالُنَا لُغَةَ الْإِحْتِرَامِ وَالرُّقْيِ وَالرَّحْمَةِ الْمَوْجِهَةَ مِنَ اللِّسَانِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَهُوَ يُوَاسِي طِفْلًا فِي مَوْتِ عَصْفُورِهِ، جَابِرًا خَاطِرَهُ، مُتَرَفِّقًا بِهِ، رَافِعًا الْحُزْنَ عَنْ قَلْبِهِ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟» أَلَمْ يَحِنِ الْوَقْتُ لِلْجُلُوسِ مَعَ أَبْنَانِنَا لِنَسْتَمِعَ إِلَى تَطَلُّعَاتِهِمْ وَأَمَالِهِمْ، وَنَعِيشِ الْأَمَهْمِ، وَنَوَاسِيهِمْ كَمَا وَاسَتْ الْأَحْضَانُ النَّبَوِيَّةَ هَذَا الطُّفْلَ الصَّغِيرَ، وَالتُّفْلَ وَفِي ذِكِّي حَصِيفٍ، يَحْفَظُ الْجَمِيلَ، وَيَتَذَكَّرُ كُلَّ لَحْظَةٍ طَيِّبَةٍ وَيدِ حَانِيَةٍ.

أَيُّهَا الْكِرَامُ، أَفْسَحُوا الْمَجَالَ لِلطُّفْلِ، أَشْبِعُوا مَعْنَوِيَّاتِهِ حَتَّى يَخْرُجَ إِنْسَانًا سَوِيًّا قَوِيًّا مُفَكِّرًا مُبَدِّعًا، اْمْنَحُوا الْأَطْفَالَ قُبْلَةَ الْحَيَاةِ بِأَنْ تَفِيضُوا عَلَيْهِمْ جَمِيلَ الْمَشَاعِرِ وَالْأَحَاسِيسِ وَجَرَعاتِ الْحُبِّ وَالْحَنَانِ؟! اْمْرُسُوا فِي أَطْفَالِكُمْ قِيمَ الْمُرَاقَبَةِ وَالتَّشْجَاعَةِ وَالتَّحَدِّيِّ الَّتِي عَرَسَهَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي وَجْدَانِ الصَّبِيِّ الْأَمِينِ عَبْدِ

(٢)

اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهُكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

إِنَّ الْقَلْبَ يَعْتَصِرُهُ الْأَلَمُ مِنْ حُزْنِ طِفْلِ وَغُصَّةِ حَنْفِهِ جِرَاءَ فَقْدِ حَنَانِ أُسْرَتِهِ وَسَطِّ مَشَاغِلِ الْحَيَاةِ الْمُتَسَارِعَةِ، أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ أَصْبَحَ حَالُنَا مَعَ أَطْفَالِنَا حَالَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَسَا قَلْبُهُ عَلَىٰ أَوْلَادِهِ، فَتَرَاهُ يَسْتَعْرِبُ تَقْبِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحْفَادِهِ الْكَرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَحَنَوَهُ عَلَيْهِمْ وَاحْتَوَاهُ لَهُمْ وَإِفَاضَتَهُ الرَّفْقَ وَالْأُنْسَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى اسْتَحَقَّ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ هَذَا اللُّؤْمَ الْمُحَمَّدِيَّ «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ».

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ:

فِيهَا أَيُّهَا الْكَرَامُ، إِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْأَطْفَالِ مِنْ مُنْطَلَقِ الْحُبِّ وَاللِّينِ وَإِحْيَاءِ الطُّفُولَةِ مِنْ أَجْلِ اهْتِمَامَاتِ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَكَمْ مِنْ طِفْلِ أَحْيَا اللَّهُ بِهِ مَجْدَ أُمَّةٍ؟ وَاسْأَلُوا التَّارِيخَ عَنْ تَجْرِبَةِ الطُّفُولَةِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيَّ، وَمَالِكٍ؛ لِنُدْرِكَ أَنَّ الْأَطْفَالَ هُمْ أَمَلُ الْوَطَنِ وَمُسْتَقْبَلُ الْأُمَّةِ. فَلِنَبْنِ الْإِنْسَانَ بِنَاءِ الطُّفُولَةِ الْمُفَكَّرَةِ الْمُبْدِعَةِ، الْقَادِرَةِ عَلَى التَّحَدِّيِّ وَالنُّبُوغِ وَالتَّفَوُّقِ، وَلِنُوقِفَ نَزِيفَ الطُّفُولَةِ وَسَطِّ هَذَا الرُّكَامِ مِنَ الْأَلْعَابِ الْإِلِكْتْرُونِيَّةِ، وَالْمَوَاقِعِ الْمَشْبُوْهَةِ، وَالْأَفْكَارِ الْهَدَامَةِ، أَلَا تُقَدِّرُ أَيُّهَا النَّبِيلُ حَجْمَ الدَّمَارِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ طِفْلُكَ جِرَاءَ الْجُلُوسِ بِالسَّاعَاتِ وَبِيَدِهِ جِهَازٌ مَحْمُولٌ، فَيَتَشَتَّتْ عَقْلُهُ، وَيَفْقِدُ مَلَكَاتِهِ، وَتَضِيْعَ مَوَاهِبِهِ.

أَيُّهَا السَّادَةُ، إِنَّ التَّعَامُلَ السَّيِّئَ مَعَ الْأَبْنَاءِ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ أَنْثَرِ قَبِيحِ دَاخِلِ نَفُوسِهِمْ، وَيَزْرَعُ مَشَاعِرَ غِلِّ وَكِرَاهِيَّةٍ قَابِلَةً لِلتَّحَوُّلِ إِلَى مَوْجَةٍ غَضَبٍ عَارِمَةٍ، وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مَاذَا يَكُونُ فِي ذَاكِرَةِ شَابٍ طُرِدَ مِنْ مَسْجِدِ الْحَيِّ وَهُوَ صَغِيرٌ، أَوْ مَا انْطَبَعَ فِي قَلْبِ تَلْمِيذٍ لَمْ يَجِدْ مِنْ مُعَلِّمِهِ إِلَّا الْقَسْوَةَ وَالْغُلْظَةَ؟!

أَيُّهَا النَّاسُ، هَذِهِ دَعْوَةٌ لِأَكْرَامِ وَجِبْرِ خَاطِرِ كُلِّ طِفْلِ، أَحْيَطُوا الطُّفْلَ بِكُلِّ صُورِ الْحُبِّ وَالْوُدِّ وَالتَّرْفِيهِ الْمُفْضِي إِلَى التَّعْلِيمِ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عَدَا الْمَرْمُوقِ فِي الْأَنْظَارِ، الْمُبْتَكِرِ الْمُخْتَرِعِ الشَّاعِرِ الْأَدِيبِ الْكَبِيرِ. اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَطْفَالِنَا وَشَبَابِنَا وَوَطَنِنَا الْعَزِيزِ